

المبحث الثاني

تضييق المعنى أو تخصيص الدلالة

وذلك بتحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي وتضييق مجالها، ومثل هذا في العربية كلمة السبب، التي كانت في أصل معناها تعني الدهر ثم تخصص معناها بأحد أيام الأسبوع^(١). ((ويمكن تفسير التخصيص أو التضييق بعكس مافسّر به توسيع المعنى فقد كان التوسع نتيجة إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ، أما التخصيص فنتيجة إضافة بعض الملامح التمييزية للفظ، فكلما زادت الملامح لشيء ما قلّ عدد أفراده))^(٢). فقد توضع اللفظة للدلالة على شيء أو فعل يتعارف الناس عليه، فعندما نقول مثلاً: (كتاب) هنا تتولد في الأذهان صورة معينة تأخذ شكل الكتاب، فمازالت اللفظة عامة، فقد يكون الكتاب، كتاب الولد، أو عقد زواج أو القرآن الكريم ... فإذا اردنا التخصيص قلنا: كتاب احمد للغة العربية، كتاب محمد لعقد الزواج

والناس في تعاملهم اللغوي يميلون إلى الدلالات الخاصة؛ لسهولة التعامل بها وأحياناً يعمدون إلى الدلالات العامة لكهم يستعملونها استعمالاً خاصاً، مثل كلمة "العيال" التي أصبحت تدل على الزوجة لكنها أخذت تخصص في الدلالة على الأولاد انفسهم^(٣).

وفي اللغة الإنجليزية كانت كلمة meat تدل على الطعام عموماً، ولكنها تدل على اللحم^(٤). ويفسر (ستيفن اولمان) هذا المظهر بقوله: ((من المعروف أن الكلمة الانجليزية poison ومعناها "المسم" (ويقلبها poison في الفرنسية) هي نفس الكلمة polion ((الجرعة من أي سائل)) ولكن الذي حدث هو أن الجرعت السامة دون غيرها هي التي استرعت الانتباه واستثّرت به، لأسباب أو لآخر، وبهذا تحدد المدلول، وأصبح مقصوراً على أشياء تقل في عددها عما كانت عليه الكلمة في الاصل إلى حد ملحوظ))^(٥).

وقبل هذا وذاك تناول احمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) تطوّر معاني الكلمات بعد ظهور الاسلام، واختلافها عما كانت عليه في الجاهلية، إذ يقرر أنه لما جاء الله جل

(١) ينظر: المزهر: ١ / ٢٧، والترادف في اللغة: ٢٢ .

(٢) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ١٣٧ .

(٣) ينظر: علم الدلالة والمعجم العربي، د. عبد القادر ابو شريقة: ٦٥-٦٦ .

(٤) ينظر: عوامل التطور اللغوي: ١٢٦، ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد

العزیز مطر: ٢٨١ .

(٥) دور الكلمة في اللغة: ١٨١ .

ثناؤه بالاسلام نُقِلَتْ من اللغة الأفاظ من مواضع أخر، بزيادات زِيدَتْ، وشرائع شُرِعَتْ، وشرائط شُرِطَتْ^(١).

ويشرح اللغوي الفرنسي [ج. فوندريس] هذا المظهر بقوله: ((من حالات التصبيق تلك الحالة التي يطلق عليها الاسم العام على طائفة خاصة تمثل نوعها خير تمثيل في نظر المتكلم ذلك أن الإنسان إذا وثق من إن مُحْتَنَةٍ قَانِرٍ على فهمه، أعفى نفسه من استعمال اللفظ الدقيق المحدد، واكتفى بالتقريب العام، فعندما يطلب من الفتاة الفلاحة أن تدخل البهائم لا تتردد لحظة واحدة كون المقصود بها: البقر الذي لا يزال في الحقل، لأن البقر في نظرها هو البهائم بمعنى الكلمة. وبالطبع لو تكلم الراعي أو الحوذي عن البهائم كان المقصود بها في الحالة الأولى الأغنام، وفي الثانية الخيل، وهذا التخصيص كثيراً ما يترك آثاره في اللغة، فأسم الطائر في اللغة الأغريقية القديمة أخذ معنى ((دجاجة)) من التاريخ المسيحي (إنجيل لوقا-إصحاح ١٣ آية ٣٤) كما صار اسم الطائر على العموم (quca) يُطلق في الفرنسية على الوزّة))^(٢).

وفي المعجم الوسيط، لفظة (العيش) حيث يقول صاحب المعجم: ((ثم تخصص معنى العيش فأصبح يُطلق في بعض اللهجات على الخبز-كما في مصر-ويُطلق في بعضها على الأرز-كما في منطقة الخليج العربي-إذا سمع المصري قول الخليجي: عيشي مطبوخ، تساءل: كيف يُطبخ العيش؟ لأن العيش في مصر هو الخبز، وقد قال العرب: عيش بني فلان اللبن، أي يعيشون عليه))^(٣).

وقد يقع التخصيص نتيجة حذف المضاف إليه أو الصفة ومثاله لفظ (الننيا) وأصله الحياة الدنيا، والتخصيص يُعَدُّ أوسع من التعميم وأكثر وروداً في تطوّر دلالة الألفاظ^(٤).

ويتكلم الدكتور إبراهيم أنيس عن أثر التخصيص في دلالة الألفاظ موضحاً أثر ذلك في اللغة من حيث التطور والدلالة حيث يقول: ((إن الألفاظ في معظم لغات البشر تتذبذب دلالتها بين أقصى العموم كما في الكليات مثل كلمة (شجرة) التي تُطلق على ملايين الأشجار، وأقصى الخصوص كما في الأعلام مثل كلمة (محمد) الدالة على شخص بعينه))^(٥) ويوضح الدكتور أحمد عبد الرحمن، أن الناس يتقبلون الدلالة الخاصة أكثر من العامة، إذ يقول: ((وعلى قدر ما يصيب الذهن من رقي وتطور يكون استعداده لتقبل تلك الدلالات الكلية. وكذلك الأمم على قدر نهوضها وسمو التفكير بين أبنائها تكون لغاتها مستعدة لتلك الدلالات الكلية ثم يشير في كلامه أن

(١) الصاحبي: ٧٨.

(٢) اللغة: ٢٥٧.

(٣) المعجم الوسيط: ٢ / ٦٤٠.

(٤) الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين: ٦٧.

(٥) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: ٣٩.

الناس عادة ينفرون من الكليات في حياتهم اليومية ويفضلون الدلالات الخاصة التي تعيش معهم فيرونها ويسمعونها ويلمسونها، ولذا يسهل عليهم تداولها والتعامل بها في حياة أكثر ما فيها ملموس محسوس^(١).

وفي كل لسان كلمات عامة ذات دلالة عامة مثل: عملية، موسم، دابة، وغيرها، ولكن الناس لا يستعملون هذه الكلمات بمعانيها العامة، بل يفهم منها كل امرئ ما يتعلق به وحده، فالموسم عند مربي الماشية هو زمن ولادة الإناث منها، والموسم عند بائع المعاطف هو الشتاء، والموسم عند المزارع هو وقت الحصاد. واما العملية فهي بالنسبة إلى الطبيب قطع عضو من الأعضاء، وهي بالنسبة إلى العسكري معركة من المعارك. وكذا الدابة أيضاً، فهي لاتعني عند الأفلاح إلا البغل أو الكدش، ولاتعني عند الجرّار إلا الواحدة من الغنم ... وهكذا فمن ثم ينشأ التخصيص غير الشعوري^(٢).

ألفاظ التخصيص في شروح سقط الزند
في شروح سقط الزند توجد الألفاظ انتقلت دلالاتها من العموم إلى الخصوص، وقد قام الباحث بتحريج هذه الألفاظ من الشروح ثم بحث عنها في كتب اللغة؛ لبيان البعد والقرب في معانيها عند شراح سقط الزند وأهل اللغة من القدامى والمحدثين. ومن هذه الألفاظ:

١- لفظة (الصلاة) الواردة في قول أبي العلاء:

صَلَاةُ الْمُصَلِّي قَاعِدَةٌ فِي ثَوَابِهَا يَنْصُفُ الْقَائِمُ الْمُتَطَوُّعُ

الصَّلَاةُ ((هي التي جاء بها الشرع من الركوع والسجود وسائر حدود الصلاة))^(٣) ((وهي مجملة العبادة المخصوصة^(٤) لله سبحانه وتعالى)). ويرى الخوارزمي ((أنها سُمِّيَتْ صَلَاةً، لِأَنَّ الْمُصَلِّي يُحَرِّكُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ صَلَوَتَهُ، وَهِيَ الْعِظَمَانِ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا الْإِيتَانِ))^(٥) وهو كقول الزمخشري ((الصَّلَاةُ: فَعْلُهُ مِنْ صَلَّى كَالزَّكَاةِ مِنْ زَكَّى، وَحَقِيقَةُ صَلَّى حَرَكُ الصَّلَوَيْنِ، لِأَنَّ الْمُصَلِّي يَقْعِلُ ذَلِكَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ))^(٦) وقد خصها ابن قتيبة

(١) عوامل التطور اللغوي: ١٢٦.

(٢) الوجيز في فقه اللغة، محمد الانطاكي: ٤٧٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٣ / ٣٠٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث: ٢٩٧/٢.

(٥) شروح في سقط الزند: ١٥٥١/٤.

(٦) الكشف: ١٣١/١.

(ت ٢٧٦هـ)، فاصل الصلاة عنده الدعاء^(١) وهذا هو الراجح، وذلك لأن الصلاة في معناها الإسلامي مأخوذة من معنى الدعاء والطلب وذلك للصلاة القريبة في المعنى بين الصلاة والطلب وبخاصة أن الشعراء استعملوا كلمة ((صلى)) بمعنى الطلب وهذا يدل على أن القرآن الكريم استعمل ما استعملوه في شعرهم إلا إن القرآن خصص الصلاة بالهيئة المعروفة فأصبحت هي الركن الشهير من أركان الإسلام^(٢). والصلاة من الله الرحمة، وصلاة الله على رسوله: رحمة له وحسن ثناء. والصلاة من الملائكة: دعاء واستغفار. وبها سُميت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار^(٣).

٢. لفظة (الهلال) الواردة في قول أبي العلاء:

كهِلَا الْحَيَاةِ أَوْ كَقَمِيصٍ لَهْلَالِ الْحَيَاتِ غَيْرَ مُجُوبٍ

يقول الخوارزمي ((الهلال: ما يبقى في الحوض من الماء الصافي، لأن الغدير إذا امتلأ استدار كالقصر، وإذا صار الماء في ناحية منه استقوس كالهلال))^(٤) وفي لسان العرب: أن معنى الهلال هو ما بقي في الحوض من الماء الصافي قيل له هلال؛ لأن الغدير عند امتلائه من الماء يستدير وإذا قل ماؤه ذهب استدارة وصار الماء في ناحية منه^(٥).

٣. لفظة (التأويب) الواردة في قول أبي العلاء:

مَا سِرْتُ إِلَّا وَطِيفٌ مِنْكَ يَصْحَبُنِي سُرَى أَمَامِي وَتَأْوِيبًا عَلَى أَثَرِي

يقول التبريزي ((التأويب: سير النهار كله إلى الليل، ويقال: تأويب الرجل أهله إذا سار النهار كله حتى يطرُقهم مع الليل ثم جعلوا قدوم الغائب إتياناً، وإن جاء بالنهار)) أما البطليوسي فيقول: ((التأويب: سير النهار؛ هذا هو الأشهر))^(٦) ولهذا الرأي أشار المبرد في الكامل بقوله ((التأويب: سير النهار لاتعريج فيه))^(٧) وفي اللسان ((التأويب في السير نهاراً نظير الإسار في السير ليلاً. والتأويب أن يسير النهار أجمع وينزل الليل. والتأويب في كلام العرب سير النهار كله إلى الليل يقال: أوب القوم تأويباً أي ساروا بالنهار وأسأوا إذا ساروا بالليل))^(٨).

(١) ينظر: غريب الحديث ١/١٦٧، الزبدية في الكلمات الإسلامية ١/١٤٦، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة/عبد العزيز مطر/٢٨١.

(٢) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم/١٨١.

(٣) لسان العرب: ٤٦٤/١٤.

(٤) شروح سقط الزند: ١٨٨٢/٤، ينظر: أمالي الزجاجي: ١٩٠.

(٥) ينظر لسان العرب: ٧٠٣/١١.

(٦) شروح سقط الزند: ١١٨/١.

(٧) الكامل للمبرد: ٩٦٦.

(٨) لسان العرب: ٢٢٠/١.

٤. لفظة (السَّمَرُ) الواردة في قول أبي العلاء:
وَعَنْ آلِ حِجَارٍ جَرَى سَمَرُ الْعَلَا

بِأَكْمَلِ مَعْنَى لَا انْتِقَاصَ وَلَا غَمَطَ

يقول البطلاني سي: ((السَّمَرُ: حديثُ القومِ بالليل. ويكون السَّمَرُ أيضاً جَمْعُ سَامِرٍ، كَحَارِسٍ وَحَرَسٍ، وفي حديثِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ((جَدَبَ السَّمَرُ بَعْدَ عَدَمَةٍ)) أي عابته ونهيه عنه))^(١) واعتدبه الثعالبي خاصاً بقوله ((وَالسَّمَرُ بِاللَّيْلِ خَاصٌّ))^(٢). ومن المجاز (لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ مَا سَمَرُ ابْنِ دَا سَمِيرٍ) (وَلَا أَتِيهِ السَّمَرُ وَالْقَمَرُ) وَأَتَيْتُهُ سَمَرًا: لَيْلًا. وَسَمَرَتِ الْإِبِلُ لَيْلَتَهَا كُلَّهَا: رَعَتْ. وَبَنَوا يَسْمُرُونَ الْخَمَرَ: يَشْرَبُونَ لَيْلَتَهُمْ^(٣).

٥. لفظة (الصَّوَارُ) الواردة في قول أبي العلاء:

وَلَيْسَتْ تُحَسِّنُ الْأَرْضَ مِنْهَا بُوْطَاةٌ تَشْدَعَرُ سَرَبًا أَوْ تَرُوعُ صَوَارًا

يقول التبريزي ((الصَّوَارُ: قطعةٌ من بقرِ الوحش)) أما البطلاني سي فيعطيهها صفةَ الخصوص بقوله ((الصَّوَارُ: يكسر الصَّادَ وضميها: القطيعُ من البقرِ خاصةً))^(٤) ويقول ابن فارس ((الصَّوَارُ: هو القطيعُ من البقرِ والجمع صِيرَانٌ وامتدَّ شَهْدٌ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فَقَطَّلَ لَصِيرَانَ الصَّرِيمِ غَمَاغِمَ يَدَاعِيهَا بِالسَّمْهَرِيِّ الْمَغْلَبِ^(٥)

٦. لفظة (الرُّصْعُ) الواردة في قول أبي العلاء:

وَتَأْبَى ذُنَابُ أَنْ يُظَوِّرَ ذُبَابُهُ وَلَوْ ذَابَ مِنْ أَرْجَائِهِ عَمَلُ الرُّصْعِ

يقول الخوارزمي ((الرُّصْعُ: يسكون الصَّادُ فِرَاحُ النَّحْلِ وَالرُّصْعُ بِتَحْرِيكِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ، فَقَدْ قَالَ صَاحِبُ التَّكْمِلَةِ: هِيَ صَغَارُ النَّحْلِ قَبْلَ أَنْ تُطَيَّرَ))^(٦) وفي معاجم اللغة سَمَوُا فِرَاحَ النَّحْلِ رُصْعًا الْوَاحِدَةُ رُصْعَةٌ، وَالرُّصْعُ فِرَاحُ النَّحْلِ خَاصَّةً^(٧).

(١) شروح سقط الزند: ١٦٥١/٣.

(٢) فقه اللغة: للثعالبي: ٣٢٤-٣٢٥.

(٣) ينظر: أساس البلاغة: ٤٥٧.

(٤) شروح سقط الزند: ٦٣٣/٢.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ٣٢٠/٣، والبيت لامرئ القيس: ٥٢.

(٦) شروح سقط الزند: ١٣٦٠/٣، والرُّصْعُ: يسكون الصَّادُ، بمعنى صغار النحل، لا توجد هذه اللفظة إلا

في الجمهرة: ٣٥٢/٢.

(٧) ينظر: لسان العرب: ١٢٤/٨.

٧- لفظة (الإيْعَادُ والوَعْدُ) الواردة في قول أبي العلاء:

يَا ذَهْرُ يَا مُنْجِزُ إِيْعَادِهِ وَمُخْلِِفُ الْمَأْمُولِ مِنْ وَعْدِهِ

يقول التبريزي ((الإيْعَادُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الشَّرِّ، وَالْوَعْدُ، يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ)) أما البطليوسي فيقول: الإيْعَادُ فِي الشَّرِّ خَاصَّةٌ، وَأَمَّا الْوَعْدُ فَيَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَاسْتَعْمَلَهُ أَبُو الْعَلَاءِ لِلْخَيْرِ خَاصَّةً^(١) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ ((الْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ))^(٢) وَمِنْ الْمَجَازِ ((وَعْدَتْهُ شَرًّا وَأَصْبَحَتْ أَرْضُهُمْ وَاعِدَةً: إِذَا رُجِيَ خَيْرُهَا))^(٣)، وَيُقَالُ ((وَعَدْتُ الرَّجُلَ خَيْرًا وَشَرًّا))^(٤). قَالَ تَعَالَى فِي الْخَيْرِ: (أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا)^(٥) وَقَالَ فِي الشَّرِّ: ((النَّارُ وَعْدُهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَنْصُرُ الْمَصِيرُ))^(٦).

٨- لفظة (الدَّارَةُ) الواردة في قول أبي العلاء:

أَجَارَتْنَا أَنْ صَابَ دَارَةُ قَوْمِنَا رِبْعٌ قَاضِيٌ مِنْ مَنَازِلِنَا السَّنْطِ

يقول الخوارزمي ((الدَّارَةُ، أَخَصُّ مِنَ الدَّارِ، إِذَا الدَّارُ تَطَلَّقَتْ عَلَى النَّاحِيَةِ وَالْمَدِينَةِ، وَأَمَّا الدَّارَةُ فَلَا تَطَلَّقُ إِلَّا عَلَى الْمَسْكَنِ الْخَاصِّ. قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ: لَهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مُشْتَمِعٌ وَأَخْرَفُ فَوْقَ دَارَتِهِ يَنَادِي^(٧)

وَالدَّارَةُ ((أَرْضٌ سَهْلَةٌ تَدُورُ بِهَا جِبَالٌ. وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ فِيهَا دَارَاتٌ كَثِيرَةٌ. وَأَصْلُ الدَّارِ دَارَةٌ))^(٨).

(١) شروح سقط الزند: ١٠١٢/٣.

(٢) ينظر: الصحاح: ٥٥١/٢.

(٣) أساس البلاغة: ١٠٣٠.

(٤) التلويح في شرح الفصيح / الهروي: ٢٥.

(٥) طه: ٨٦.

(٦) الحج: ٧٢.

(٧) شروح سقط الزند: ١٦٢٢/٤، والبيت في ديوان أمية ابن أبي الصلت: ٢٧٠.

(٨) معجم مقاييس اللغة: ٣١١-٢١.

المبحث الثالث

انتقال مجال الدلالة

اجمع اللغويون على أن نشأة الدلالة تبدأ بالمحسوسات ومن ثم تتطور إلى الدلالات المجردة حسب تطور العقل الانساني ورقية، فكما أن الطفل لا يدرك في بداية حياته الأولى إلا المحسوسات التي يحس بها وما حوله وما يتفاعل معه في بيئته، وبعدما يتلقى تعليمه وبعدما يتعرف على ما حوله ويدرك المعاني لهذه المحسوسات وكلما ارتقى هذا الإنسان وتطور مع العصر ومع رقي الحضارة وتطور النهضة كلما ارتفع تفكير هذا الإنسان على استخراج الدلالات المجردة وتوليدها، والاعتماد عليها في استعماله اليومي، وانتقال الدلالة هذه يتم بصورة تدريجية وتسير الدلائل جنباً إلى جنب زمناً طويلاً^(١).

وفي مطلع العصر الحديث للدراسات اللغوية الدلالية وجد العلماء الدلالة وعلى رأسهم (نربال) و(دار مستنير) في المجاز المرسل ذي العلاقة الكلية والجزئية وذي العلاقات الأخرى كالسببية والمجاورة، وفي الإستعارة نماذج أساسية لتغيير المعاني والإتساع في المعنى فالإنكماش يتم إذ تستعمل لفظ الكل في الجزء.. والإتساع باستعمال الجزء، معبراً به عن الكل. أما المجازات ذات العلاقة السببية والمسببية، والمجاورة والحالية، والمحلية والإستعارات فهي تمثل نقل المعنى من مجال إلى آخر^(٢).

ويرى (أولمان) أن ضروب الإستعارة تعدّ نقلاً وتحويلاً للاسم بين المعاني، أما ضروب المجاز المرسل وعلاقاته فهي نقل للمجاورة والملاصقة بين المعاني.. ويرى أن الإستعارة (التحويل للمشابهة) أما أن تكون ذات (جوهرية) في مشابهة الشكل، أو الوظيفة، أو الموقع. أو متزامنة حسياً وذلك بتشبيه الصوت باللون واللون بالرائحة أو إنفعالية بتشبيه إحساس ما بشيء مادي رابطة بينها بعض الخواص^(٣).

يقول (فندريس) في تحديد المراد بنقل المعنى ((يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص (كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من المسبب إلى السبب أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه...، أو العكس)).

(١) ينظر عوامل التطور اللغوي، د. أحمد عبد الرحمن: ١٢٧.

(٢) لم الدلالة العربي: ٣٧٩.

(٣) علم الدلالة العربي: ٣٨٣ وما بعدها.

وانتقال المعنى يتضمن طرائق شتى يُطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية (metaphore) [الاستعارة] synecdoque (إطلاق البعض على الكل) أو metonymie (المجاز المرسل بوجه عام)^(١).

من خلال ذلك أقول بأن هذا المظهر يشتمل على نوعين من تطوّر الدلالة وقد أثبت ذلك علماء اللغة المحدثون^(٢) والنوعان هما:

١- انتقال مجال الدلالة لعلاقة التشابه بين المدلولين، أي على سبيل الاستعارة، وبوضحه (ستيفن أولمان) بقوله: ((إننا حين نتحدث عن عين الأبرة نكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الإنسان استعمالاً مجازياً، أما الذي سَوَّغ لنا ذلك فهو شدة التشابه بين هذا العضو والثقب الذي يذق الخيط من خلاله. والحق أن التشابه قوي إلى درجة أن كلّ وجوه الخلاف بين الجانبين تسقط من الحساب عند المقارنة، ويصبح انتباهنا محصوراً في الخصائص المشتركة بينهما. وهذا هو الأساس النفسي للاستعارة (metaphor))^(٣).

ثم يورد لنا ستيفن أولمان أمثلة على ذلك ينتقل فيها من مجالات الخواص إلى مجالات أخرى وذلك نحو: تحية عاطرة، واستقبال بارد، ولون دافئ، وصوت حلو. وعندما ذكر هذه الأمثلة قال: ((فهنا يوجد الإحساس بأن هناك تشابهاً بين الدفء وبين لون معين من الألوان وتشابهاً بين المذاق الحلو وبين الصفات الجميلة للصوت))^(٤).

ويذكر اللغويون أنّ الدلالة الحسية المادية أسبق في نشأتها من الدلالة المجردة، فأصل معنى المساعدة أي المعاونة، أصلها من وضع الرجل يده على ساعد صاحبه، إذا تماشيا في حاجة وتعاونوا على أمر^(٥). وفي الأساس أن أصل معنى ((الشرف)): المرتفع من الأرض، يقال علا شرفاً من الأرض، وَعَلَوْا أَشْرَافاً، وهو المكان المشرف. ثم أطلق الشرف بعد ذلك على معنى مجرد، وهو علو المنزلة^(٦).

٢- انتقال مجال الدلالة لعلاقة غير التشابه بين المدلولين، وهو المجاز المرسل. هذا النوع يوضحه لنا ستيفن أولمان بقوله ((الكلمة bureau ((مَكْتَب)) قد يكون معناها اليوم المكتب الذي يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه، أو المصلحة الحكومية أو المكان الذي تُدار منه الأعمال، من الواضح أنه ليست هناك أية مشابهة

(١) اللغة: ٢٥٦.

(٢) ينظر: علم اللغة وفقه اللغة/ عبد العزيز مطر: ٥٢-٥٤، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر: ص ٢٨٥، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ٥٦.

(٣) دور الكلمة في اللغة: ١٨٣.

(٤) المصدر نفسه: ١٨٥.

(٥) لسان العرب: ٣/ ٢١٤.

(٦) أساس البلاغة: ٤٨٧.

بين المدلولين ولكن بينهما ارتباطاً من نوع آخر، فالمكتب الذي نكتب عليه يوضع عادة في الأماكن التي تُدار منها الأعمال، وعلى هذا فالفكرتان مرتبطتان بعضهما ببعض في ذهن المتكلم، أو قلّ أنهما تنتميان إلى مجال عقلي واحد. وهذا هو التفسير النفسي لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل ((metonymy))^(١). ومن ذلك قول بعض العرب: أكلنا مَلَّةً يُريدون خبز مَلَّةً والمَلَّة: الرماح الحار. وقد تولّى الجاحظ توجييه ما نقوله العامة بقوله ((و من هذا الباب التسمية باسم المكان: المَلَّة، موضع الخبزة، فسمّوا الخبزة بأسم موضعها))^(٢).

وينقل لنا الدكتور أحمد مختار مثلاً على نقل المعنى، ((كلمة (bead) الإنجليزية المعاجم الحديثة تعرفها بأنها: قطعة صغيرة تشبه الكرة من الزجاج أو الخشب أو المعدن أو أي مادة أخرى مثقوبة لإدخال الخيط فيها. وإذا تتبعنا اللفظ في الإنجليزية القديمة ربما وجدنا الكلمة (gebet) التي لاتعني (bead) وإنما التضرع أو الصلاة. والعلاقة بين المعنيين؟ كل بعض رجال الكنيسة الكاثوليكية (و ما زالوا) يعدّون ادعيتهم وتسايحهم على حبات منظومة في خيط. ومن هنا نشأ التعبير: يعدّ حباته التي تعني كلاً من الحَبَل والدعوات. وفي الإنجليزية الوسطية أعطى لفظ (bead) أو (bede) المعنيين: دعاء حَبَات عدّ الأدعية، وهذا هو الذي أدى إلى التحول الدلالي))^(٣).

أمّا الدكتور إبراهيم أنيس فيعطينا أمثلة على ذلك أيضاً ومن هذه الأمثلة كلمة (رسول) التي كانت تُطلق على الشخص الذي يُرسل لأداء مهمة ما، فحوّل مجال استعمالها الدلالي فأضحت تُطلق على شخص (الذي) يحدث تتبادر إلى الذهن كلما استُعملت ضمن الخطاب اللغوي العادي^(٤).

وقد ينصرف الناس إلى هذا النمط من الاستعمال لتوضيح الصورة أو الدلالة وكثيراً ما يعتمد الأدباء والموهوبون إلى إيجاد صُور مجازية توضح أفكارهم وتجذب إنتباه السامعين جذباً جميلاً فهذا أبو ذؤيب يصور المنية إذ يقول
وإذا المنية انشبت أظفارها ألقيت كل تميمة لاتنفع^(٥)

فهنا يصور الشاعر المنية كالحيوان الكاسر الشرس الذي لاينفع معه أي سلاح^(٦)

(١) نور الكلمة في اللغة: ١٨٨.

(٢) الحيوان ٣٣٣/١.

(٣) علم الدلالة، أحمد مختار: ٢٤٨.

(٤) ينظر دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس: ١٥٢-١٦٧.

(٥) ديوان الهذليين شعر أبي ذؤيب: ٣.

(٦) علم الدلالة والمعجم العربي، د. عبد القادر أبو شريقة ١٦٩-٧٠.

الملاحظ في دراستي عن انتقال الدلالة هو أن العلماء المحدثين احتلوا القسم الأكبر من مساحتها، لكن هذا لا يعني أن العلماء القدماء لم يذكروا هذه الظاهرة بل على العكس من ذلك فلو أخذنا أي كتاب من كتب القدماء نجد فيه كلامهم وامثلتهم على هذه الظاهرة. فهذا (ابن جني) لقد عني عناية كبيرة بموضوع المجاز المرسل والاستعارة وأورد الأمثلة الكثيرة على ذلك في مختلف مؤلفاته التي وصلت إلينا، ولم يذكر ابن جني مصطلح (المجاز المرسل) ولكنه أفرد له باباً في خصائصه وهو باب (الاكتفاء بالسبب من المسبب وبالمسبب من السبب)^(١). وكل من يمثل لهذا الباب بالآيات القرآنية والشواهد الشعرية الفصيحة، فمن الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿

يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْبِشُوا وُجُوهَكُمْ ۚ﴾^(٢)، أي إذا ارتقم القيام لها

والإنتصاب فيها وقوله عز وجل: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۚ﴾^(٣) فاكتمى بالمسبب الذي هو الانفجار من السبب الذي هو الضرب؛ لأن التقدير (فَضْرَبَ فَانْفَجَرَتْ)^(٤) أما أبو عبيدة في كتابه غريب الحديث فقد توسع به في شرح قواعده فقد أكثر من أمثلة المجاز لعلاقة غير المشابهة، وصرح بعلاقة المجاورة والعلاقة السببية في تغيير مجال الدلالة. ومن أمثلته: (إن العرب تسمي الشيء باسم غيره إذا كان معه أو من سببه، كما قالوا للمزادة راوية، وإنما الراوية البعير الذي يستقي عليه فسميت المزادة به؛ لأنها تكون عليه...)^(٥).

انتقال مجال الدلالة في شروح سقط الزند.

لا نقول في دراستنا لسبيل انتقال الدلالة، أن المصادر الأجنبية فقط هي التي تناولت هذا الموضوع بل على العكس من ذلك، فإن الفارابي (ت ٢٣٩ هـ) أقدم من أشار إلى أن دلالات اللفاظ يمكن أن تنتقل من مجالها الحقيقي إلى مجال آخر على سبيل التجوز والاستعارة^(٦) وقد صرح شراح سقط الزند ببعض العلاقات المسوغة للانتقال القائمة على التجوز والاستعارة لذلك قام الباحث باستخلاص العلاقات من

(١) ينظر: الخصائص: ١٧٣/٣ وما بعدها.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(٤) ينظر: الخصائص (٢٨٩/١).

(٥) غريب الحديث: ١٥٦/١.

(٦) ينظر: كتاب الحروف: ١٤١، وينظر مجلة المورد مج ١٨، ع ١ لسنة ١٩٨٦. وفيها بحث الفارابي وأراؤه اللغوية في كتاب الحروف.

الشروح، كالتشبيه، والاستعارة، والتمثيل، و المجاز المرسل وعلاقته. ثم قام بتقسيم هذه العلاقات الى قسمين:

- علاقات المشابهة وهذه العلاقات تضم (التشبيه، التمثيل، الاستعارة)

- علاقات المجاز المرسل ويضم:

١- تسمية الشيء بقوله.

٢- تسمية النوع باسم الجنس.

٣- تسمية الكل باسم الجزء.

٤- اطلاق السبب على المسبب.

٥- اطلاق اسم المسبب على السبب.

٦- علاقة المجاورة).

بعد ذلك اعطى الباحث تعريفاً لكل نوع من دون الخوض في التفاصيل لأن هذا لا يدخل في مجال دراسته، مثال ذلك: التشبيه فقد أخذ الباحث تعريفه ثم بعد ذلك انتقل الى ضرب امثلة من الشروح أوضح فيها كيف تنتقل الدلالة عن طريق التشبيه وهكذا بالنسبة للاستعارة والتمثيل و المجاز المرسل.....

١ - علاقات المشابهة:

١- التشبيه يعد التشبيه اقدم صور البيان وأوسع الصور أو الفنون استعمالاً في الشعر العربي عموماً لما فيه من (عقد الصلة بين شيئين أو اشياء لا يمكن أن تفسر على الحقيقة؛ لأنها لو فسرت كذلك لا يصبح كذباً) (١) ولهذا فهو - أي التشبيه - (يقرب بين البعدين حتى يصير بينهما مناسبة أو اشتراك) (٢).

وعلاقة التشبيه هو أن توجد علاقة مشابهة بين المعنى الاصلي والمعنى المستحدث مما يستدعي انتقال التسمية ومن الأمثلة على ذلك:

١- لفظة (المقاضة) الواردة في قول ابي العلاء:

مَنَاجِيذُ لِبَاسُونَ كُلُّ مَقَاضَةٍ كَأَنَّ غَيْراً فَاضَ مِنْهَا عَلَى

الحسن

يقول الخوارزمي: ((المقاضة: هي الدروع السابغة، سميت بذلك؛ لأنّ الدرع مشبّه بالماء المفاض، والمصراع الثاني يدل على صحة هذا الاشتقاق، وكذلك بيت سقط.

يقول إذا ما رَمَلَة أَلْقَيْتَ بِهَا جَهَوْلُ أَنْاسٍ جَاءَ رَمْلٌ بِأَوْشَالٍ (٣)

(١) فنون بلاغية، د. احمد مطلوب: ٣٦ .

(٢) العمدة: القيرواني: ٢٨٦/١ .

(٣) شروح سقط الزند: ٩٦٠/٣ .

لكن البيت الذي يحمل اللفظة المفسرة ودليل صحة الاشتقاق هو بيت السقط.
مناجيدُ لبَّاسون كلَّ مَقَاضِيَةٍ كَانْ غَدِيرًا قَاضٍ مِنْهَا عَلَى الْجِسْمِ^(١)

وفي اللسان: ((دِرْعُ فَيَوْضٍ وَمَقَاضِيَةٍ وَقَاضِيَةٍ وَاسِعَةٍ))^(٢)

٢- لفظة (الصَّبِيْبُ) الواردة في قول ابي العلاء:
فَاعْجَبْ لِرُؤْيَاكَ عَيْرَ نَاسِكَةٍ قَدْ غَيَّرَتْ بِالصَّبِيْبِ وَالْكَثْمِ

يقول الخوارزمي: الصَّبِيْبُ. في الأصل. هو الدَّمُ المُصَدُّوبُ، فَعِيلٌ يَمَعْنِي مَفْعُولٌ، ثُمَّ يُشَبَّهُ بِهِ عَصَارَةُ وَرَقِ الْحِنَاءِ فَيُسَمَّى بِهِ^(٣))) ويقول ابن فارس ((الصَّبِيْبُ يُقَالُ: أَنَّهُ مَاءُ وَرَقِ السَّمْسِمِ. وَيُقَالُ: هُوَ عَصَارَةُ الْحِنَاءِ. وَقَالَ قَوْمٌ: الصَّبِيْبُ الدَّمُ الْخَالِصُ))^(٤).

٣- لفظة (الوَرَادُ) الواردة في قول ابي العلاء:
وَسِرْتُ لِتَذَعْرِ الْحَيَّانَ لَمَّا ذَعَرْتُ الْوَحْشَ وَالْأَسَدَ الْوَرَادَا

يقول التبريزي: ((الْوَرَادُ جَمْعُ وَرْدٍ، مِنَ الْأَسَدِ، وَهُوَ الَّذِي يُضْرَبُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَيُقَالُ: أَسَدٌ وَرْدٌ وَغَيْرُ، أَيْ أَحْمَرٌ. وَكُلُّ هَذِهِ الْأَلْفَظِ تُجْمَعُ عَلَى وَرَادٍ، وَالْوَرْدُ الْمَشْمُومُ فِي الرَّبِيعِ، يُقَالُ أَنَّهُ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ فِي الْأَصْلِ، إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي الْأَزْهَرَ وَرْدًا)) أما البطليوسي فيقول ((والوَرَادُ جَمْعُ وَرْدٍ، وَهُوَ الْأَحْمَرُ؛ لِاحْتِضَائِهِ بِدَمِ الْفَرَائِسِ)) ويصرح الخوارزمي على أن الوَرَادَ: ((جَمْعُ وَرْدٍ. يُقَالُ: أَسَدٌ وَرْدٌ، وَفَرَسٌ وَرْدٌ. وَهُوَ مَا بَيْنَ الْكُمَيْتِ وَالْأَشْقَرِ))^(٥).

وفي المقاييس: يُقَالُ فَرَسٌ وَرْدٌ، وَأَسَدٌ وَرْدٌ. إِذَا كَانَ أَوَّلُهُ لَوْنُ الْوَرْدِ^(٦)

٤- لفظة (جَرِيَالُ) الواردة في قول ابي العلاء:
وَمَاءَ بِلَادِي كَانَ أَنْجَعُ مَشْرَبًا وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْكَرْخِ صَهْبَاءُ جَرِيَالُ

يقول التبريزي ((جَزَيَالُ صُبُغٌ أَحْمَرٌ، وَقِيلَ مَاءُ الذَّهَبِ، وَسُمِّيَتْ الْخُمُرُ جَرِيَالًا لِشَبَّهَائِهَا بِالذَّهَبِ)) أما البطليوسي فيقول ((وقيل الجزيالُ حُمْرَةُ الْخُمُرَةِ وَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ)) أما الخوارزمي فلن يخرج عن هذا المعنى بقوله: ((الْجَرِيَالُ وَالْجَزِيَالُ: الْخُمُرُ

(١) المصدر نفسه: ٦٦٠/٣.

(٢) لسان العرب: ٢١٢/٧.

(٣) شروح سقط الزند: ١٨٨٦/٤.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٢٨١/٣.

(٥) شروح سقط الزند: ٧٩١/٢.

(٦) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٠٥/٦.

والذهب. حَمَرْتُهُمَا. قال بعضهم: اللَّابَنُ دَمٌ سَلَبَتْهُ الطَّبِيعَةُ جَرِيَالَةً، سُدَّ الْأَعْشَى عَنْ قَوْلِهِ
وَسَبِيْنَةٍ مِمَّا تَعْتَقُ بِأَبْلَگَدَمَ النَّبِيحُ سَلَبَتْهَا جَرِيَالَهَا

فَقَالَ: مَعْنَاهُ شَرِبْتُهَا حَمْرَاءَ وَبَلَّغْتُهَا بَيْضَاءَ^(١).
ويقول ابن منظور: ((أَنَّ مَعْنَى الْجَرِيَالِ يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى لَوْنِ الْخَمْرِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ قَصْرِهِ عَلَى الْحُمْرَةِ، بَلْ أَنَّ الْعَرَبَ تَجْعَلُ الْجَرِيَالِ الْخَمْرَ بِعَيْنِهَا كَقَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ:

كَأَنِّي أَخُو جَرِيَالَةٍ بَابِلِيَّةٍ كُفِّمْتُ، تَمَشَّتْ فِي الْعِظَامِ شَمُولَهَا^(٢)
فَسَبَبُ تَسْمِيَةِ الْخَمْرِ جَرِيَالًا؛ لِوُجُودِ الْمَشَابَهَةِ اللَّوْنِيَّةِ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالذَّهَبِ؛ لِأَنَّ لَوْنَهَا وَاحِدٌ.

هـ. لَفْظَةُ (عَطِيطُ) الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ:
تَظُنُّ عَطِيطُ النَّوْمِ نَهْمَةً زَاجِرٌ فَتَقْطَعُ قَيْدًا أَوْ تَبْتَ هَجَارًا

يقول التبريزي: ((الْعَطِيطُ الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ لِلنَّائِمِ. وَأَصْلُ الْعَطِيطِ صَوْتُ الْمُخْتَنِقِ، فَشَبَّهُوا النَّائِمَ بِالَّذِي يَخْتَنِقُ كَأَنَّ النَّوْمَ خَنْقَهُ. قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

يَغِطُّ عَطِيطُ الْبَكْرِ شَدَّ خَنَاقَهُ لِيَقْتُلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالٍ^(٣)

فَالَّذِي يَنْظُرُ إِلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ يَجِدُ رَأْيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ. فَعَلَى قَوْلِ التَّبْرِيزِيِّ أَنَّ أَصْلَ الْعَطِيطِ مِنْ صَوْتِ النَّائِمِ الْمُخْتَنِقِ كَأَنَّ النَّوْمَ خَنْقَهُ. أَمَّا الرَّأْيُ الْآخَرُ فَلَعَلَّ أَنَّ أَصْلَ الْعَطِيطِ مِنْ عَطِيطِ الْبَعِيرِ الْمَخْنُوقِ. لِأَسْبَاطٍ وَأَنَّ الْعَرَبِيَّ اعْتَادَ فِي بَيِّنَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ عَمَلِيَّةَ شَدَّ خَنَاقَ الْبَعِيرِ بِاسْتِمْرَارٍ وَهِيَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ الْعَمَلِيَّةِ الْآخَرَى أَيْ: اخْتَنَاقَ النَّائِمِ، فَهِيَ رُبَّمَا تَكُونُ حَالَةً خَاصَّةً. وَهَذَا الرَّأْيُ يُسَبِّدُهُ قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ: ((أَقْبَلْ وَلَهُ نَحِيطٌ كَنَحِيطِ الْمَهْرِ الْمَرْنُوقِ، وَغَطِيطٌ كَغَطِيطِ الْبَكْرِ الْمَخْنُوقِ))^(٤)

(١) شروح سقط الزند: ١٢٥٤/٣-١٢٥٥، والبيت في ديوان الأعشى: ١٤٤.

(٢) لسان العرب: ١٠٨/١١، والبيت في ديوان ذي الرمة: ٥٤٨.

(٣) شروح سقط الزند: ٦٢٩/٢ والبيت في ديوان أَمْرُو الْقَيْسِ: ٣٢.

(٤) أساس البلاغة: ٦٨٢.

٦- لفظة (الجَيْشُ) الواردة في قول أبي العلاء:

بِلَحْظَةٍ مِنْهُ فَمَا نُوْنَهَا يَرْدُ غَرْبَ الْجَيْشِ عَنْ قَصْدِهِ

يقول البطلانيوسي ((الجَيْشُ العَسْكَرُ، سُمِّيَ بالمصدر، من قولهم: جَاءَتْ الْقِدْرُ تَجِيْشُ جَيْشاً، إِذَا قَارَتْ. شُبِّهَتْ حَرَكَتُهُ بِحَرَكَةِ الْقِدْرِ عِنْدَ غَلِيَانِهَا))^(١)، ويقول ابن منظور: ((الجَيْشُ واحدُ الجيوش، والجَيْشُ الجُنْدُ وَقِيلَ جَمَاعَةُ النَّاسِ فِي الْحَرْبِ))^(٢) وفي التهذيب: ((الجَيْشُ جُنْدٌ يَسِيرُونَ لِحَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا يُقَالُ جَيْشُ فُلَانٍ أَيْ جَمْعُ الْجَيْشِ وَأَسْتَجَاشُهُ أَيْ طَلَبُ مَنْهُ جَيْشاً))^(٣). ومن المجاز: ((جَاشَ الْبَحْرُ بِالْأَمْوَاجِ وَإِنْ صَدْرُهُ لِيَجِيْشَ عَلَيَّ بِالْغُلِّ وَجَاشَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ))^(٤).

٧- لفظة (الشَّهْبُ) الواردة في قول أبي العلاء:

أَعَادَ مَجْدُكَ عَبْدَ اللَّهِ خَالِقَهُ مِنْ أَعْيُنِ الشَّهْبِ لَا مِنْ أَعْيُنِ الْبَشَرِ

يقول البطلانيوسي: ((الشَّهْبُ النُّجُومُ، وَاحِدُهَا شِهَابٌ. وَأَصْلُ الشَّهَابِ النَّارُ، فَشُبِّهَتْ النُّجُومُ بِهَا لِتَوَقُّدِهَا وَضِيَانِهَا))^(٥). والشَّهَابُ شُعْلَةٌ نَارٍ سَاطِعَةٌ. وَإِنْ فَلَانًا لَشِهَابٍ حَرْبٍ وَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَعْرُوفًا فِيهَا مَشْهُورًا كَشَهْرَةِ الْكَوَاكِبِ اللَّوَامِعِ^(٦). ومن المجاز: ((نَصَلَ أَشْهَبُ يَرْدَ قَدْهَبِ سَوَادِهِ وَأَشْهَبُ الزَّرْعِ هَاجٍ، وَسَقَاهُ الشَّهَابُ الضِّيَاحَ وَعَامَّ أَشْهَبَ وَسَنَةَ شَهْبَاءَ كَمَا يُقَالُ بَيْضَاءَ وَحُمْرَاءَ وَغَيْرَاءَ وَكُهْبَاءَ وَظُلْمَاءَ، وَكُتِبَتْ شَهْبَاءُ لَشَهْبَةِ الْحَدِيدِ وَيَوْمُ أَشْهَبَ وَلَيْلَةُ شَهْبَاءَ إِذَا هَبَّتَ فِيهِمَا رِيحٌ بَارِدَةٌ))^(٧).

وقد وردت لفظة (شَهَابٌ) في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ بَعْضُ نِسَاءِ قَارُونَ﴾^(٨).

٨- لفظة (الهِيَامُ) الواردة في قول أبي العلاء:

أَقُولُ لِصَاحِبِي إِذَا هَاجَ وَجَدًا يَبْرِقُ لَيْسَ يَثْبُتُهُ نَزُوحًا

(١) شروح سقط الزند: ١٠٢٤/٣.

(٢) لسان العرب: ٢٧٨/٦.

(٣) تهذيب اللغة: ١٣٤/١١.

(٤) أساس البلاغة: ١٤٧.

(٥) شروح سقط الزند: ١٥/١.

(٦) لسان العرب: ١٠١/١.

(٧) أساس البلاغة: ٥١٠.

(٨) سورة الصافات: الآية: ١٠.

يقول البطليوسي: ((الهَيَامُ يُقَالُ هَامَ يَهِيْمُ إِذَا اغْتَرَاهُ شُبُهَ الْجُنُونِ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ. وَأَصْلُهُ أَنْ يَشْتَدَّ عَطَشُ الْبَعِيرِ فَيَذْهَبَ عَلَى وَجْهِهِ يَطْلُبُ الْمَاءَ؛ فَشُبُّهُ بِهِ الَّذِي أَفْرَطَ عَلَيْهِ الشَّوْقُ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَقِرَّ))^(١).

لكن هناك رأي آخر مخالف لرأي البطليوسي. قول ابن منظور ((بان الهيام داء يأخذ الأبل فتهم في الأرض ولا تروى. يقال ناقة هيماء. قال كثير وإنني قد ابتلت من دنف بها كما أدنف هيماء، ثم استبكت^(٢))).

ومن المجاز ((هو هائم بفلاته... وبه هيام وهو الجنون من العشق. ومهما يكن الأصل منهما، فإلى الهيام وهو الجنون من العشق يمكن أن يُعدَّ مرحلة مجازية تالية للحقيقة))^(٣).

٩- لفظة (العمرات) الواردة في قول أبي العلاء: **فَلَا يُطْمِئِنُّكَ فِي الْعَمَرَاتِ وَرَبِيفَ إِسَى رَبَّةَ الْمُرِّ الْأَجَاغِ**

يقول البطليوسي: ((الْعَمَرَاتُ: جَمْعُ عَمْرَةٍ وَهِيَ الْمَاءُ يَغْمُرُ مَنْ دَخَلَ فِيهِ هَذَا الْأَصْلُ فِيهَا ثُمَّ تُسَمَّى الشَّدَائِدُ عَمَرَاتٍ عَلَى التَّشْبِيهِ بِذَلِكَ))^(٤) لكنه زاد عليه في موضع آخر بقوله: ((فِيهِلَاكَهْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَخْلَصٌ مِنْهُ، ثُمَّ صَارَتِ الْعَقَلَاتُ مَثَلًا لِلشَّدَائِدِ وَالْجَهَالَاتِ وَالْعَقَلَاتِ؛ وَاحِدَهَا عَمْرَةٌ؛ كَمَا قَالَ الْأَغْلَبُ: الْعَمَرَاتُ ثُمَّ يَجْلِينُ))^(٥) وقال في موضع آخر: ((وَعَمْرَةُ الْوَعْيُ: شِدَّتُهُ وَمُعْظَمُهُ، شُبُّهُتْ بِعَمْرَةٍ الْمَاءِ))^(٦).

وقد جعل ابن فارس تلك المعاني من أصل واحد يدل على تغطية وستر في بعض الشدة^(٧).

١٠- لفظة (المهاة) الواردة في قول أبي العلاء: **أَرَدْنَا أَنْ نَصِيدَ بِهِ مَهَاءَ فَقَطَعَتِ الْجَبَائِلُ وَالْحَبَالَا**

يقول التبريزي: ((أصل المهاة بقرة الوحش، ثم شبَّهت المرأة بالمهاة، أي كآلتها وحشية))^(٨) إذا نظرنا إلى قول التبريزي نجد أنه شبَّه المرأة بالمهاة من الجهة

(١) شروح سقط الزند: ٢٤١/١.

(٢) لسان العرب: ٦٢٦/١٢ والبيت في ديوان كثير ١٠٢.

(٣) أساس البلاغة: ١٠٧١.

(٤) شروح سقط الزند: ١٧٣٠/٤.

(٥) المصدر نفسه: ٧١٤/٢، وينظر هذا المثل في جمهرة الأمثال للعسكري / ٥٠.

(٦) المصدر نفسه: ٤٥٦/١.

(٧) ينظر مقاييس اللغة ٣٩٣/٤.

(٨) شروح سقط الزند: ٧٣/١.

الوحشية، كذلك نجد أن هذه اللفظة اعني (المهاة) إنتقلت عن طريق التشبيه من لفظة تُطَلَّق على البقرة الى لفظة تُطَلَّق على المرأة. وفي اللسان. يقول ابن منظور ((المهاة بقرة الوحش، سُمِّيَتْ بذلك لبياضها على التبيشة بالبلورة والذرة، فاذا شَبِهَتْ بِهَا فِي الْعَيْنَيْنِ، فَلَمَّا يَعْنِي بِهَا الْبَقْرَةُ))^(١) وإذا نظرنا الى القولين نجد أن التبريزي شَبَّه المهاة بالبقرة من الجهة الوحشية اما ابن منظور فقد شَبَّه المرأة بالمهاة من الناحية الجمالية. اما البطليوسي فله رأيان في ذلك، الرأي الاول: ((المهاة بقر الوحش والمهاة أيضاً البلور^(٢)) والرأي الثاني يقول: المهاة البقرة الوحشية، شَبِهَتْ بِالْمَهَاةِ، وَهِيَ الْبَلُورَةُ))^(٣)

(١) لسان العرب: ١٥ / ٢٩٩ .

(٢) شروح سقط الزند: ١٧٥/١ .

(٣) المصدر نفسه: ١٢٧/١ .

وهذا تأييد لقول ابن منظور السابق. وخلاف رأي التبريزي.

٢- علاقة التمثيل

التمثيل: ((هو أن يريد الشاعر إشارة الى معنى فيضع كلاماً يدل على آخر وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئ عما أراد أن يشير إليه))^(١).

علاقة التمثيل في شروح سقط الزند

١- الأديم :

يقول البطلانيوسي: ((أديم كل شيء جلده. فسسي وجه الأرض أديماً على التمثيل)). قال الاعشى.

يوماً تَرَاهَا كَشِبَهُ أَرْدِيَةِ الْـ خُمْسُ وَيَوْمًا أَدِيمُهَا نِغْلًا^(٢)

وفي المقائيس: ((إذا قيل قاتل فعلى أي شيء تحمل الأدمة وهي باطن الجلد ؟ قيل له الأدمة أحسن ملأمة للحم من البشرة. ولذلك سسي ادم عليه السلام لأنه اخذ من اديم الارض))^(٣).

٢- يقول ابو العلاء:

تَبِينُ قَرَارَاتِ الْمِيَاهِ نَوَازِرًا قَوَارِيرُ فِي هَامَاتِهَا لَمْ تَلْقَعْ

يقول البطلانيوسي: ((في هذا البيت شيء يسمى إقحام التشبيه، وتصيير المجاز كالحقيقة، وذلك أن العيون ليست قوارير على الحقيقة، وإنما تسمى ذلك على معنى التمثيل، فجعل القوارير إسماعاً لها حين كثر تشبيهها بقرارات المياه النواكز؛ فادخل تمثيلاً على تمثيل، وتخبيلاً على تخيل))^(٤).

٣- انتقال مجال الدلالة عن طريق الاستعارة:

لقد اختلف العلماء في حد الاستعارة فمنهم من قال في حدها ((حد الاستعارة: نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المذقول اليه؛ لانه اذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة، وكان حداً لها دون التشبيه))^(٥). ومنهم من عرفها: ((هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح المشبه من البين لفظاً وتقديرأ))^(٦). ومنهم من قال في حدها:

(١) نقد الشعر / قدامة ابن جعفر ١٥٦، ينظر، تحرير التعبير ابن ابي الاصبع / ٣١٤ .

(٢) شروح سقط الزند: ٣ / ٩٧٤، والبيت في الديوان: ١٥٤ .

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١ / ٧٢ .

(٤) شروح سقط الزند: ٢ / ٨٤١ .

(٥) المثل السائر / الاثير ٨٣/٢ .

(٦) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز / العلوي: ٢٠٠/١ .

((الاستعارة: أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع ان تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء الى اسم المشبه به فتغيره وتجربه عليه))^(١).
و منهم من قال: ((الاستعارة: هي ان تذكر احد طرفي التشبيه، وتريد به الاخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))^(٢) وهذا الاخير من ادق التعاريف.
هذا ما يخص الاستعارة البلاغية، اما الاستعارة اللغوية فقد عرفها اللغويون القدماء. فمنهم من قال في حدها: ((أن يستعار للشيء اسم غيره او معنى سواه))^(٣).
اما الخوارزمي فقد عرفها تعريفا قريبا من المجاز العقلي بقوله: ((الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة في الشيء))^(٤).

(١) دلالات الاعجاز / الجرجاني: ٥٤.

(٢) مفتاح العلوم / السكاكي / ٥٩٩.

(٣) قواعد الشعر / ابو العباس ثعلب: ٥٧.

(٤) شروح سقط الزند ١٧٦/١.

الاستعارة عند شراح سقط الزند

١- لفظة (العرامس) الواردة في قول أبي العلاء:

بُنْتُا فَرِيقٌ فِي سُرُوجِ ضَوَامِرٍمَنَا وَآخِرُ فِي رَحَالِ عَرَامِسٍ
يقول الخوارزمي: ((العَرَامِسُ: جَمْعُ عَرَمَسٍ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ الصَّخْرَةُ، ثُمَّ يُسْتَعَارُ لِلنَّاقَةِ الشَّدِيدَةِ)) (١)، ويقول ابن منظور: ((العَرَمَسُ: الصَّخْرَةُ. وَالْعَرَمَسُ: النَّاقَةُ الصَّلْبَةُ الشَّدِيدَةُ وَهُوَ مِنْهُ، شَبِهَتْ بِالصَّخْرَةِ، وَلَا ادْرِي أَهوَ مِنْ صِفَاتِ الشَّدِيدَةِ أَمْ هُوَ مُسْتَعَارٌ فِيهَا)) (٢).

٢- لفظة (الضَّبْع) الواردة في قول أبي العلاء:

إِذَا الضَّبْعُ الشَّهْبَاءُ حَلَّتْ بِسَاحَتِي
تَضَنُّوتٌ عَلَيْهَا كُلَّ مَوَارَةِ الضَّبْعِ

قال الخوارزمي: ((الضَّبْعُ لَمَّا كَانَتْ أَفْسَدُ حَيَوَانٍ أُسْتَعِيرَ إِسْمُهَا لِلسَّنَةِ الْمَجْدِبَةِ. قَالَ الْهَزَلِيُّ:

فَبِأَن قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ (٣)

وَالضَّبْعُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ يَعْنِي ((الشَّرَّ. قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: الْعَرَبُ تَكْنِي عَنْ سَنَةِ الْحَدِيثِ وَمِنْهُ حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ((خَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبْعُ وَالضَّبْعُ الشَّرُّ)) (٤)

(١) شروح سقط الزند: ١/٤٠٣.

(٢) لسان العرب ٦/١٣٨.

(٣) شروح سقط الزند: ٣/١٣٤٧. والبيت من أبيات للعباس بن مرداس الأسلمي. كما في ٤- الخزانة (٨١:٢) وفي اللسان ٨/٢١.

(٤) شروح سقط الزند: ٣/١٣٤٧. والبيت من أبيات للعباس بن مرداس الأسلمي. كما في ٤- الخزانة (٨١:٢) وفي اللسان ٨/٢١.

٣- لفظة (التشيد) الواردة في قول أبي العلاء:

إذا الناس حلوا شِعْرَهُمْ بِنَشِيدِهِمْ فِدُونُكَ مَنَى كُلِّ حَسَنَاءٍ عَاطِلٍ

قال الخوارزمي: "التشيد: رفع الصوت في نشيدان الضالة ثم يستعار لرفع الصوت في الإنشاد" (١).

قال ابن فارس ((وتشَدَّ فلانٌ فلاناً قال: تشدَّتْكَ الله: أي سالتك بالله. وتلخيصه ذكرتك الله تعالى ومنه انشاد الشاعر وهو ذكره والتنويه به: فامّا انشدت الضالة: فمعناه: عرفها. واما تشدت الضالة يعني طلبتها فلرفع صوته)) (٢).

٤- لفظة (يمتّاح) الواردة في قول أبي العلاء:

وَحُدُودُ الْإِيمَانِ يَقْبِسُهَا مِنْكَ وَيَمْتَّاحُهَا أُولُو الْإِيمَانِ

يقول البطلوسي: ((يمتّاحها: يأخذ منها ويستخرجها، مُستَعارٌ من قولهم مَحَّ يَمِیحُ وامتّاح يمتّاح، إذ أنزل في البئر فسلأ للتلو. ثم ضرب ذلك مثلاً للأعطاء والأفضال)) (٣).

ويقول ابن منظور ((المتّح جذ بك رشاء الدلو تمذ بيذ وتأخذ بيذ علي رأس البئر. متّح الدلو يمتّحها متّاحاً ومتّح بها. وقيل الماتّح المستقي والماتّح الذي يملأ الدلو من أسفل البئر)) (٤).

٥- لفظة (الكرّوع) الواردة في قول أبي العلاء:

إلى بردي حَتَّى تَظْلُ كَانْهَا وَقَدْ كَرَعَتْ فِيهِ لَوَائِمُ مِيرِدٍ

يقول البطلوسي ((الكرّوع: التّخول في الماء ليتشرب الإبل، وأصله في ذوات الأكارع من الحيوان ثم استعير في غيرها)) (٥). والكرّاع عند أبي العباس يكون على وجهين: الكراع: إما كراع الدابة أو العنق من الحرّة تنقل في اللين يقال مررنا بكرّاع أرض كذا وكذا)) (٦) وفي الأساس: ((كرّع في الماء وكّرّع أدخل فيه أكارعه بالخوض فيه ليشرّب، والأصل في الدابة؛ لأنه لا يكاد يشرب إلا بإدخال أكارعه فيه ومن ثم قيل للإنسان: كرّع في الماء إذا شرب بفيه، خاض أو لم يخض)) (٧).

٦- لفظة (النعام) الواردة في قول أبي العلاء:

(١) شروح سقط الزند: ١٠٨٢ / ٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٤٢٩/٥ - ٤٣٠.

(٣) شروح سقط الزند: ٤٦٣/١.

(٤) لسان العرب: ٥٨٨/٢.

(٥) شروح سقط الزند: ٣٨٤ / ١، وينظر: كتاب الفرق، لابن فارس: ٦١.

(٦) ما اتفق لفظه واختلف معناه: ٦٥.

(٧) أساس البلاغة: ٨١٨.

وَهَلْ لِي فِي ظِلِّ النَّعَامِ تَقْبُلُ إِذَا مَنَعَتْ ظِلَّ الْأَرَاكِ سَمُومُ

يقول الخوارزمي ((النعام: خَشَبٌ تُنْصَبُ وَتُسْتَرُّ بِشَيْءٍ يُمَدُّ ظِلُّهَا وَكَأَنَّهَا مُسْتَعَارٌ مِنَ الطَّيْرِ، لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ، وَكَذَلِكَ يُشَبَّهُ بِالْخَيْلِ، وَمِنْهُ بَيْتُ السَّقَطِ: خَيْلٌ شَوَامِسُ فِي الْجَلَالِ إِذَا هَقُّرِيحٌ وَإِنْ رَكَدَتْ فَعَبِيرُ شَوَامِسٍ^(١))

ويقول ابن منظور ((النعام: الخشبة المعترضة على الزر نوقين ٠ تعلق منها العامة وهي البكرة. فإن كان الزرائيق من خشب فهي دعم^(٢)) (٣).
٧- لفظة (المساحل) الواردة في قول أبي العلاء: وَمَا وَرَثَتَهَا مِنْ صَدَى غَيْرِ أَنَّهَا ثَرِيدٌ يَوْرِدُ الْمَاءِ حِفْظَ الْمَسَاحِلِ

يقول التبريزي ((المساحل جمع مسحل. والمسحلات الحيطان اللاتن تكتنفان قم الفرس من اللجام. ويُقال للموضع الذي هي فيه مسحل، ويمتعار ذلك للرجل، فيقال: شاب مسحلة^(٤)) (٥).

(١) شروح سقط الزند: ٢ / ٦٦٧ - ٦٦٨ .

(٢) لسان العرب: ١٢ / ٥٨٣ .

(٣) شروح سقط الزند: ٣ / ١٠٦٨ .

٤- انتقال مجال الدلالة عن طريق المجاز

اختلف العلماء في حدّ المجاز فمنهم من يقول (بأنه اللفظ الذي يقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة) (١). ومنهم من يقول (كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضح لملاحظة بين الثاني والاول) (٢). أما الحلبي فلم يخرج تعريفه للمجاز عن حد ابن الاثير، كما انه لم يأت بشيء جديد فيما يتصل بهذا الموضوع (٣).

ويعرفه ابن الاثير (ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة) (٤). وهذه التعاريف موجودة في أكثر كتب البلاغة وهي ليست من اختصاص رسالتي لكني ذكرتها للتبيان فقط. أما الذي أريده في هذا الجانب فهو كيفية انتقال المعنى عن طريق المجاز؟ ومن ثم التعرف على العلاقات (علاقات المجاز المرسل) التي من خلالها يكون انتقال المعنى.

ولو رجعنا الى الوراء لوجدنا ان الامام الغزالي قد تعرض لهذه العلاقات وقد ذكر ابن الاثير اقسام المجاز عند الامام الغزالي حيث قسمه الى اربعة عشر نوعاً لاجابة لذكرها هنا ومن اراد معرفتها يمكنه الاطلاع عليها في كتاب ابن الاثير (٥) وعادة ما يتم الانتقال المجازي بدون قصد، بهدف سد فجوة معجمية والذي يميز الاستعمال المجازي من الحقيقي للكلمة هو غنصر النفي الموجود في كل مجاز حي وذلك قولنا: رجل الكرسي ليست رجلاً، وعين الأبرة ليست عيناً وقد يحدث بمرور الوقت ان يشيع الاستعمال المجازي فيصبح للفظ معنيان فيشيع المعنى المجازي على حساب المعنى الحقيقي ويقضى عليه.

وقد ميز بعضهم بين الانواع الثلاثة للمجاز -

١- المجاز الحي (living) الذي يظل في عتبة الوعي، ويثير الغرابة والدهشة عند السامع.

٢- المجاز الميت (dead) او الحفري (fossil) وهو النوع الذي يفقد مجازيته ويكتسب الحقيقة من الالفة وكثرة التردد.

٣- المجاز النائم (sleeping) او الذاوي (faded) ويحتل مكاناً وسطاً بين النوعين السابقين (٦).

(١) ينظر: الخصائص ٢ / ٤٢٢.

(٢) اسرار البلاغة، عبد القادر الجرجاني: ٣٠٤.

(٣) ينظر: حسن التوسل، الحلبي: ١٠٤.

(٤) المثل السائر: ١ / ٥٠.

(٥) المصدر نفسه: ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٩.

(٦) علم الدلالة: احمد مختار ٢٤١ و ٢٤٢.

ويقول فندريس في ذلك: (يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص... وانتقال المعنى يضمن طرائق شتى منها الاستعارة - إطلاق البعض على الكل - المجاز المرسل بوجه عام...) (١) وهذه العلاقات سماها أحد الباحثين (يقوانين تبدل معاني الالفاظ) (٢). وقد أشار شراح سقط الزند إلى هذه العلاقات لكنهم لم يشرحوا إلى جميعها وإنما أشاروا إلى بعضها، فقام الباحث بجمع هذه العلاقات وعرضها بهذه الصورة، أسأل الله التوفيق في هذا العمل. وهذا عرض لأهم هذه العلاقات.

١ - إطلاق اسم المسبب على السبب

١- لفظة (الرأسي) الواردة في قول أبي العلاء:

بِهِ عَرَقَى النُّجُومُ قَبِينَ طَافٍ وَرَأْسٌ يَسْتَسْبِرُّ وَيَسْتَنْتَبِهُ

يقول الخوارزمي ((عَنَى بِالرَّأْسِيِّ الرَّاسِبُ، ولذلك جعله في مقابلة الطافي، وهذا من إطلاق اسم المسبب على السبب؛ لأنَّ الرَّسُو من مسببات الرسوب. وفي المثل: ((أَرَسَى مِنْ رِصَاصِهِ)) (٣) وعلى عكس ذلك قولهم: ((جَبَلٌ رَاسِبٌ)) ذكره جار الله في أساس البلاغة. يقول: ((ماء ذلك الغدير يَنَاضِي الكواكب وَيَنَاجِي النُّجُومَ، فما كان من الكواكب كثيرَ الضوء يَرى فيه كالطَّافِي، وما كان قَلِيلَةً يَرى كالرَّاسِبِ)) (٤) والرَّسُو من مسببات الرَّسوب؛ لأنَّ الرَّسُو الثَّبات. ويقال: (رست السفينة) أي بلغ أسفلها القعر وانتهى إلى قرار الماء فثبتت وبقيت لا تتسير (٥).

٢- لفظة (المنعم) الواردة في قول أبي العلاء:

وَلَيْسَ بِجَازٍ حَقٌّ شُكْرُكَ مُنْعَمٌ وَلَوْ جَعَلَ الدُّنْيَا قِضَاءَ ذِمَامِهِ

يقول الخوارزمي ((يُروى بالكسر فيكون المراد منه صاحبُ دِئِمَةٍ كثيرة وهذا من باب إطلاق اسم المسبب على السبب).

ويُروى مُنْعَمٌ بفتح العين والمراد منه المنعم عليه، ولما وجب على المنعم عليه شُكْرُ المُنْعَمِ فكانَ المنعم عليه قد عاهاذ المنعم على أن يشكر له النعمة، فذلك منه كالذمام (٦) وقد وردت لفظة (أنعم) في كتاب الله عز وجل حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

(١) اللغة: ٢٥٦. ينظر: دور الكلمة في اللغة: ص ١٦٥.

(٢) المجاز وأثره في الدرس اللغوي. محمد بدري عبد الجليل ٦٩.

(٣) شروح سقط الزند: ٢١٠/١ والمثل في المستقصى في أمثال العرب / الزمخشري ١/ ١٤٠.

(٤) أساس البلاغة ٣٤٠.

(٥) ينظر: لسان العرب ٣٢١/١٤.

(٦) شروح سقط الزند ٤٧٥/٢.

وَمَا لَكَ نَتِيعٌ ⑤ أَقْدِينَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦
 ﴿١﴾ وورنت لفظة (النعم) في قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ⑧،
 وورنت لفظة (نعم) في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَّرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ ⑨، فالنعم هو
 الذي يتفضل بإعطاء النعم وهو الله سبحانه وتعالى، أما المنعم عليه فهو الذي أعطاه
 الله من نعمه.

٢- اطلاق السبب على المسبب

لفظة (الاجتياب) الواردة في قول ابي العلاء:

مَشَى لِلْوَجْهِ مَجْتَابًا قَمِيصًا كَلَامَةً فَارَسَ يَرْمِي بِلَامٍ

قال الخوارزمي: ((اجْتَبَيْتُ الْقَمِيصَ إِذَا لَبِثْتُهُ. وَمِنْهُ بَيِّنَةُ السَّقَطِ:

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ يَجْتَابُهُ الْفَتَى ④)

وقال ليبيد: واجْتَابَ أَرْدِيَّةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا ⑤)

وهذا من اطلاق السبب على المسبب، لأن الاجتياب هو القطع ⑥)

وقال ابن منظور ((الاجتياب: ضَرْبٌ مِّنْ مَّقْطَعَاتِ الثِّيَابِ تَلْبَسُ وَالْجُبَّةُ مِنْ

أَسْمَاءِ الثَّرَعِ وَجَمْعُهَا جُبَبٌ) ⑦)

٣- تسمية الكل باسم الجزء.

١- لفظة (البنان) الواردة في قول ابي العلاء:

كَأَنَّ بَنَانًا فِي الْكَفِّ زَيْدٌ تَقَاةٌ غَيْرُ جَانِذِيَةِ الْقَوَامِ

يقول البطليوسي ((والبنان: أطراف الأصابع؛ هذا أصلها، ثم تُدْمَى الاصابعُ

كلُّها بنانًا، وهذا من تسميتهم جملة الشيء ببعض أجزائه ⑧) وقد جاءت اللفظة في

القران الكريم ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ⑨)

(١) سورة الفاتحة / الآية: ٥ .

(٢) سورة الحجرات / الآية: ٨ .

(٣) سورة لقمان / الآية: ٢٦ .

(٤) البيت ٢ من القصيدة ٩٠ وعجزة: فتختلف الاهواء في بُعد شأوه .

(٥) من معلقته في شرح ديوانه ٣١٢ وصدر البيت في تلك إذ رقص اللوامع بالضحي .

(٦) شروح سقط الزند: ١٤٤٦/٤ - ١٤٤٧ .

(٧) لسان العرب: ٢٥٠/١ .

(٨) شروح سقط الزند: ١٤٥٤/٤ .

(٩) سورة الانفال / الآية: ١٢ .

٢- لفظة (الرَّجُلُ) الواردة في قول أبي العلاء:

وَإِنَّ لَدَيْنَا فِي الْكُنَائِنِ صَيِّغَةً كَرَجُلٍ الدَّبَا حَبَّ الْقُلُوبِ تُغَادِرِي

يقول الخوارزمي ((الرَّجُلُ هي الجماعة الكثيرة، من الجراد خاصة... وسميت الجماعة من الجراد رجلاً، لأنهم يُسمَّون الجماعة ببعض أعضائها. ألا تراهم سمَّوا الخيل كُرَاعاً، وَجِبْهَةً))^(١).

ويقول الزمخشري ((من المجاز أَدْبَسُ الكِرَاعِ في سبيل الله: الخيل)^(٢) ومن المجاز "جاءت جبهة الخيل لخيارها))^(٣).

٤- تسمية الشيء بفعله

١- لفظة (الطَّرْفُ) الواردة في قول أبي العلاء:

وَالطَّرْفُ يَرْتَاحُ إِلَى غَمْضِهِ وَلَيْسَ يَرْتَاحُ إِلَى سَهْوَهِ

يقول البطليوسي: الطَّرْفُ العين، وأصل الطَّرْفِ أَنْ يَطَّرِفَ الْإِنْسَانُ بِلُجْفَانِهِ، أَيْ يُحَرِّكُهَا، ثُمَّ سَمِّيَتْ الْعَيْنُ بِفِعْلِهَا الَّذِي يَكُونُ غَضًّا، كَمَا قَالُوا لِلْأُذُنِ سَمْعٌ وَإِنَّمَا السَّمْعُ فِعْلُهَا))^(٤) وقد ذكرت هذه اللفظة في كتاب الله عزَّ وُلْ عندما قَصَّ اللهُ تعالى قصة بلقيس وملكها، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ

بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٥).

ويقول احمد بن فارس ((أَنَّ الطَّرْفَ أَحَدُ أَصْلَى الطَّاءِ وَالْمِرَاءِ وَالْفَاءِ وَهُوَ تَحْرِيكُ الْجَفُونِ فِي النَّظَرِ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ثُمَّ يُسَمَّوْنَ الْعَيْنَ الطَّرْفَ مجازاً))^(٦).

(١) شروح سقط الزند: ١٧١٧/٤.

(٢) أساس البلاغة: ٨١٨.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٧.

(٤) شروح سقط الزند: ١٠٠٩/٣.

(٥) سورة النمل / الآية: ٤٠.

(٦) معجم مقاييس اللغة: ٤٤٧/٣.

٣- تسمية النوع باسم الجنس

١- لفظة (الْحَرَسُ) الواردة في قول أبي العلاء:

وَيَحِقُّ فِي رِزِّ الْحَسَنِ تَغْيِيرُ الْـ حَرَسَيْنِ بَلْهُ الدَّرِّ فِي الْأَصْدَافِ

يقول البطليوسي: ((يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى "الْحَرَسَيْنِ" : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالْحَرَسُ أَمَّا هُوَ اسْمٌ لِلدَّهْرِ فَسُمِّيَ اللَّيْلُ حَرَسًا، وَالنَّهَارُ حَرَسًا؛ لِأَنَّهُمَا تَوَعَّانِ لِلدَّهْرِ، وَالنَّوْعُ يُسَمَّى بِاسْمِ الْجِنْسِ وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا وَقَعَ تَحْتَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَشْخَاصِ؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ: حَيَوَانٌ، كَالْإِنْسَانِ وَالْفَرَسِ وَالطَّائِرِ، وَقَالُوا لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْهَا: حَيَوَانٌ أَيْضًا))^(١) وعند ابن منظور ((الْحَرَسُ وَقْتُ مِنَ الدَّهْرِ دُونَ الْحَقْبِ، وَالْحَرَسُ الدَّهْرُ))^(٢).

٣ - علاقة المجاورة

١- لفظة (الشَّنْبُ) الواردة في قول أبي العلاء:

بِأَشْنَبٍ مِعْطَارٍ الْغَرِيزَةِ مُقْسِمٍ لِسَانِيهِ إِنَّ النِّسْبِيَّةَ مِثْقَالُ

قال البطليوسي: ((الشَّنْبُ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ، قَالَ قَوْمٌ هُوَ بَرْدُ الْأَسْنَانِ وَعَدَّوْهَا، وَقَالَ قَوْمٌ هُوَ صَفَاؤُهَا وَبَرِيقُهَا. وَذَكَرُوا أَنَّ رُوبَةَ بِنِ الْعِجَاجِ سُئِلَ عَنِ الشَّنْبِ^(٣) وَهُوَ يَأْكُلُ رِمَانًا، فَآخِذٌ مِنْهَا حَبَّةً فَإِذَا هِيَ تَبْرُقُ، فَقَالَ: هَذَا هُوَ الشَّنْبُ. وَقَالَ قَوْمٌ الشَّنْبُ: حِدَّةُ أَطْرَافِ الْأَسْنَانِ، ذَلِكَ يَكُونُ مِنَ الْقَتَاءِ وَحِدَاثَةِ السِّنِّ (وَالصَّبَا))^(٤). وَهَنَاقَ مَعَانٍ أُخْرَى لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ وَمِنْ هَذِهِ الْإِرَاءِ قَوْلُ الدُّكْتُورِ أَحْمَدَ مُخْتَارَ: ((مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَغْيِرَتْ دَلَالَتُهَا بِطَرِيقِ النِّقْلِ كَلِمَةُ ((الشَّنْبُ)) الَّتِي كَانَتْ تَعْنِي فِي الْقَدِيمِ جَمَالَ الشَّجَرِ وَصَفَاءَ الْأَسْنَانِ وَهِيَ فِي الْإِسْتِعْمَالِ الْحَدِيثِ بِمَعْنَى الشَّارِبِ))^(٥).

أما الدكتور عبد العزيز مطر فيقول: ((قَدْ تَقَفَّ مُتَسَلِّلاً: كَيْفَ يَكُونُ فِي أَنْبَابِهَا شَنْبٌ؟ لِأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ الشَّنْبَ هُوَ الشَّارِبُ كَمَا شَاعَ فِي عَصْرِنَا الْحَدِيثِ وَلَكِنَّ الشَّنْبَ

(١) شروح سقط الزند: ١٢٧٠/٣.

(٢) لسان العرب: ٤٩/٦.

(٣) في المخصص: (١: ١٤٨): يَقُولُ الْأَصْمَعِيُّ: ((وَسَأَلْتُ رُوبَةَ عَنِ الشَّنْبِ فَآخِذٌ حَبَّةً رِمَانٍ وَأَوْمًا إِلَى بَصِيصِهَا)).

(٤) شروح سقط الزند: ١٢٣٧/٣.

(٥) علم الدلالة: أحمد مختار: ٢٤٨، يُنْظَرُ عِلْمُ الدَّلَالَةِ وَالْمَجْمَعُ الْعَرَبِيُّ: ٧٠.

في اللغة العربية هو: جمال الثَّغَرِ وصفاء الأسنان. فانتقل المعنى لعلاقة المجاورة^(١) وفي الأساس: ((تَغَرَّ أَشَدُّبُ وفيه شَدَبٌ و هو رِقَّتُهُ و صفاؤه و بَرْدُهُ، و رمانَةُ شَبَاءِ أُمَلْسِيَّة، و شَدَبٌ يَوْمُنَا بَرْدٌ و يَوْمٌ شَدَبٌ و شَدَبٌ بَارِدٌ))^(٢).

(١) علم اللغة وفقه اللغة / د. عبد العزيز مطر: ٥٦.

(٢) أساس البلاغة: ٥٠٧.